



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN NAHAR
Date : 19-11-94
Photo No. : 20

البعد النووي الغائب

غريب أمر العرب: بعد عقود من الصراع مع إسرائيل، ما زالوا عاجزين عن بلورة صورة كاملة عن عدوهم؛ بعد أكثر من ثلاثة أعوام على دخولهم مفاوضات آيلة إلى فرض سلام شامل، يستفيق فجأة أحدهم (اسامة الباز، مستشار الرئيس حسني مبارك) ليلفت الانتباه إلى وجود ترسانة نووية لدى إسرائيل؛ وبعد أربعة أعوام على حرب الخليج، التي كان أحد أسبابها سياق التسلح في الشرق الأوسط، تستطیع أن تقرأ في إحدى الصحف العربية أنه "يتردد" أن إسرائيل تملك ترسانة نووية.

مئات من الصفحات، في عشرات من المقالات العلمية وعدد وافر من الكتب الواسعة الانتشار، كتبت منذ ربع قرن حول القدرات النووية الإسرائيلية. ومع ذلك، لم يدخل هذا البعد الوعي العربي. ليس الأمر مجرد هفوة صحافية، بدليل أن رجال السياسة أنفسهم يغيبون تماما مسألة السلاح النووي الإسرائيلي، إذ لم يثرها أحد في سياق المفاوضات، إلى أن استفاق اسامة الباز على هذا الموضوع.

ولأن التراكم المعرفي غير متوافر في هذا المجال، لا بد هنا من التذكير ببعض الحقائق الأساسية. أولى هذه الحقائق أن امتلاك إسرائيل ترسانة نووية ليس مجرد إشاعة. صحيح أن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لم تعترف يوما بالأمر، وإنما جعلت من الالتياس عقيدة. غير أن رفض الاعتراف لا يعني عدم الوجود. ومن دون الرجوع إلى كل ما كتب حول الموضوع، تكفي الإشارة هنا إلى قضية مورديخي فعنونو، المعتقل في إسرائيل منذ ثماني سنوات، والذي كان زود صحيفة "صنداي تايمس" البريطانية في تشرين الأول 1986 المعلومات والخرائط عن مجمع ديمونا في صحراء النقب، وكانت أهمية هذه الاعترافات تكمن في أنها جاءت تثبت ما كان "يتردد" قبل ذلك: قدرة إسرائيل ليس فقط على إنتاج قنبلة ذرية (تم التوصل إلى تركيب أول واحدة عام 1967 أو 1968) وإنما طاقتها على إنتاج عدد غير محدود من الأسلحة النووية. وبالفعل، أمكن في ما بعد إجراء عملية حساب لهذه الطاقة، فكانت نتيجتها، بحسب كتاب سيمور هرش "خيار شمشوم" الصادر في نهاية الثمانينات، أن إسرائيل تملك ما يقارب 200 قنبلة "عادية" فضلا عن عشرات القنابل النيوترونية "المصغرة" القابلة للاستخدام على أرض المعركة.

لم تحصل كل هذه "الاكتشافات" في منأى عن العرب. على العكس، كانت أخبار إسرائيل النووية تثير دائما ضجة اعلامية. لكن المفارقة كانت وما تزال في أنه لم يحصل تراكم للمعلومات في الوعي العربي، إلى حد أن الكثير من القوى الفاعلة والتي تدعي امتلاك "عقيدة"، أكانت عسكرية أم دينية، في كيفية إدارة الصراع (والمفاوضات) تنسى كليا في ممارستها العملية أن للعدو قوة نووية.

من هذا المنظار، تشكل التفاتة اسامة الباز، وإن تكن متأخرة، بادرة سليمة. فهي تضع مسيرة التسوية في إطارها الاستراتيجي الصحيح (الذي يتجاوز مسائل الحدود وجدولة الانسحابات) كما أنها تدل على أن عقد السلام لا ينمي بالضرورة حسابات الأمن القومي، وإن مسألة النظام الشرق الأوسطي الجديد لم تحسم بعد، ولكن يمكن المرآة أنها ستحسم نهائيا إذا عاد العرب ونسوا مرة أخرى الملف النووي.

سمير قصير